... أَعْظَمُ امرأَةٍ بَرَكَةً!!...

في غزوة المريسيع ، كان الرسول ﷺ قد وزّع الغنائم والسّبي علىٰ أصحابه ، فصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، في سهم ثابت بن قيس الأنصاري خطيب رسول الله ﷺ ، وسهم ابن عمّ له.

وكانت جويرية قد كاتبت ثابت بن قيسٍ علىٰ فدائها ، ولكنها لم تستطع أن تفي بالمكاتبة ، فجاءت إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقالت:

يا رسول الله ، إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله ، وأنا برّة بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه ، وقد أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، وابن عمّ له ، فتخلصني من ابن عمه بنخلاتٍ له في المدينة ، فكاتبني ثابت علىٰ ما لا طاقة لي به ولا يدان ، وما حملني علىٰ المجيء إليك إلاّ أني رجوتك صلّىٰ الله عليك ، فأعنّي في مكاتبتي.

فقال رسول الله ﷺ: «أو خيرٌ من ذلك؟».

قالت: ما هو يا رسول الله؟

قال: «أؤدّي عنكِ كتابتكِ وأتزوّجك».

فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ ثابت بن قيس الأنصاري ، فطلبها منه.

فقال ثابت: هي لكَ يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي.

فأدّىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ ثابت ما كان عليها من كتابتها ، وأعتقها ، وتزوّجها.

وخرج الخبر إلىٰ الناس ، وعلموا أن الرسول ﷺ قد تزوّج جويرية بنت الحارث ، سيد بني المصطلق .

فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ ، كيف يكونون تحت أيدينا؟ فأعتقوا ما بأيديهم من السّبي رجالاً ونساءً .

قالت عائشة رضي الله عنها: فأعتق مائة أهل بيتٍ بتزويج رسول الله ﷺ إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركةً علىٰ قومها منها!![1]

هكذا كان حبّ الصحابة الأماجد للرسول ﷺ ، حيث كانت أمنياتهم تدور حول الحبيب صلوات الله عليه ، وقد سطّر التاريخ صفحاتٍ من نور في هذا المجال: (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)

يا سائرين إلىٰ الحبيب ترفّقوا ... فالقلب بين رحالكم خلّفتُهُ
ما لي سوىٰ قلبي وفيك أذبتُهُ ... ما لي سوىٰ دمعي وفيكَ سكبتُهُ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٨/ ٨٤ ، سيرة ابن كثير: ٢/ ٣٠٣ ، تاريخ الطبري: ٣/ ١٥١٧ .